

أضواء البيان

. @ 245

الأول : سياق الآية ، كما أوضحناه آنفًا . .

الثاني : قوله : { لَا زُوجَ لَكَ } ، كما أوضحناه أيضًا . .

الثالث : أن عامة المفسرين من الصحابة فمن بعدهم فسّروا الآية مع بيانهم سبب نزولها ، بأن نساء أهل المدينة كن يخرجن بالليل لقضاء حاجتهن خارج البيوت ، وكان بالمدينة بعض الفسّاق يتعرّضون للإماء ، ولا يتعرّضون للحرائر ، وكان بعض نساء المؤمنين يخرجن في زي ليس متميّزًا عن زي الإماء ، فيتعرّض لهن أولئك الفساق بالأذى طندًا منهم أنهن إماء ، فأمر اللّٰه نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يتميّزن في زيهن عن زي الإماء ، وذلك بأن يدين عليهن من جلابيبن ، فإذا فعلن ذلك ورآهن الفساق ، علموا أنهن حرائر ، ومعرفتهم بأنهن حرائر لا إماء هو معنى قوله : { ذَالِكَ أَدْرَى } ، أن يُعرّفنَ { ، فهي معرفة بالصفة لا بالشخص . وهذا التفسير منسجم مع ظاهر القرآن ، كما ترى . فقوله : { يُدْرِيَنَّكَ مِنَ الْجَلَابِيْبِ } ، لأن إدنائهن عليهن من جلابيبن يشعر بأنهن حرائر ، فهو أدنى وأقرب لأن يعرفن ، أي : يعلم أنهن حرائر ، فلا يؤذين من قبل الفساق الذين يتعرّضون للإماء ، وهذا هو الذي فسّر به أهل العلم بالتفسير هذه الآية ، وهو واضح ، وليس المراد منه أن تعرض الفساق للإماء جائز هو حرام ، ولا شك أن المتعرضين لهن من الذين في قلوبهم مرض ، وأنهم يدخلون في عموم قوله : { وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ } (33 / 06) ، في قوله تعالى : { لَّئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ } الْمُؤْمِنَاتُ فَيَقُولَنَّ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ نَخْضِصْ بِهِمْ } ، إلى قوله : { وَقُتِلُوا } تَقْتِيلًا . .

ومما يدلّ على أن المتعرض لما لا يحل من النساء من الذين في قلوبهم مرض ، قوله تعالى : { فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } ، وذلك معنى معروف في كلام العرب ، ومنه قول الأعشى : ومما يدلّ على أن المتعرض لما لا يحل من النساء من الذين في قلوبهم مرض ، قوله تعالى : { فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ } الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } ، وذلك معنى معروف في كلام العرب ، ومنه قول الأعشى : % (حافظ للفرج راض بالتقى % ليس ممن قلبه فيه مرض) % .

وفي الجملة : فلا إشكال في أمر الحرائر بمخالفة زي الإماء ليا بهنّ الفساق ، ودفع ضرر الفساق عن الإماء لازم ، وله أسباب أخر ليس منها إدناء الجلابيب . .

تنبيه .

قد قدّ منا في سورة (بني إسرائيل) ، في الكلام على قوله تعالى : { إِنْ هَآذِهِ
الْقُرْءَانُ